

فتح القدير

وجملة 71 - { ولو اتبع الحق أهواءهم } مستأنفة مسوقة لبيان أنه لو جاء الحق على ما يهوونه ويريدونه لكان ذلك مستلزماً للفساد العظيم وخروج نظام العالم عن الصلاح بالكلية وهو معنى قوله : { لفسدت السموات والأرض ومن فيهن } قال أبو صالح وابن جريج ومقاتل والسدي : الحق هو الله والمعنى : لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السموات والأرض وقال الفراء والزجاج : يجوز أن يكون المراد بالحق القرآن : أي لو نزل القرآن بما يحبون من الشرك لفسد نظام العالم وقيل المعنى : ولو كان الحق ما يقولون من اتحاد الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة ومثل ذلك قوله : { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا } وقد ذهب إلى القول الأول الأكثرون ولكنه يرد عليه أن المراد به هنالك الله سبحانه فالأولى تفسير الحق هنا وهناك بالصدق الصحيح من الدين الخالص من شرع الله والمعنى : لو ورد الحق متابعا لأهوائهم موافقا لفساد مقاصدهم لحصل الفساد والمراد بقوله : { ومن فيهن } من في السموات والأرض من المخلوقات وقرأ ابن مسعود وما بينهما وسبب فساد المكلفين من بني آدم ظاهر وهو ذنوبهم التي من جملتها الهوى المخالف للحق وأما فساد ما عداهم فعلى وجه التبع لأنهم مدبرون في الغالب بذوي العقول فلما فسدوا فسدوا ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال : { بل أتيناهم بذكرهم } والمراد بالذكر هنا القرآن : أي بالكتاب الذي هو فخرهم وشرفهم ومثله قوله : { وإنه لذكر لك ولقومك } والمعنى : بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوه ويقبلوا عليه وقال قتادة : المعنى بذكرهم الذي ذكر فيه ثوابهم وعقابهم وقيل المعنى : بذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر أتيهم بتاء المتكلم وقرأ أبو حيوة والجدي أتيهم بتاء الخطاب : أي أتيهم يا محمد وقرأ عيسى بن عمر بذكرهم وقرأ قتادة تذكهم بالنون والتشديد من التذكير وتكون الجملة على هذه القراءة في محل نصب على الحال وقيل الذكر هو الوعد والتحذير { فهم عن ذكرهم معرضون } أي هم بما فعلوا من الاستكبار والنكوص عن هذا الذكر المختص بهم معرضون لا يلتفتون إليه بحال من الأحوال وفي هذا التركيب ما يدل على أن إعراضهم مختص بذلك لا يتجاوزه إلى غيره